الفصل الثامن

من حزب الأمة الى حزب الاحرار الدستوريين (*)

الجريدة واعلان الحماية البريطانية وزوال السيادة العثمانية — اضمحلال الحزب وانتهاؤه — جريدة السفور — الحزب الديمقراطي — من الوفد الى الاحرار الدستوريين .

علق لطفي السيد عام ١٩١٢ على ترويج بعض الصحف الأجنبية في مصر لفكرة اعلان الحماية الانجليزية على مصر معتبرا ذلك الحل للمسألة المصرية هو اسوأ الحلول لأن المصريين لا يستطيعون ان ينزلوا قيد شبر عن تحقيق صيغتهم القومية التي كلفهم ايجادها ثمنا غاليا وهي «مصر للمصريين» ثم أن تبعية مصر لانجلترا تبعية شرعية بطريق الحماية ليس من طبعه أن يزيل الاضطراب في مصر (١) . وعندما اندلعت الحرب العظمى الاولى ذكر أن لنا في مصر مصالح تجب علينا رعايتها في هذه الأوقات الصعبة ، نحن على الحياد بالضرورة وسنظل كذلك مهما اتسعت دائرة الحرب ، ان مركز مصر الاستثنائي يحتم على ولاة الأمور فيها اتباع تقاليدنا الحديثة في الحياد التام مهما كانت الظروف . وقد جربنا الثمرات الطيبة التي جنتها مصر من حيادها (٢) ، وعندما اعلنت انجلترا الحرب على المانيا ، اعتبرت الجريدة أن هذا لا يغير مجرى الاحوال في مصر ذلك أن مصر يجب أن تكون على الحياد التام بسبب مركزها الاستثنائي مهما اتسعت دائرة الحرب (٣) ، بيد أن

(*) يعد المؤلف الآن دراسة عن حزب الاحرار الدستوريين ودوره في السياسة المصرية ١٩٢٢ — ١٩٥٢ .

(١) الجريدة ١٦٠٥ في ٢ يونيو ١٩١٢ .

(٢) الجريدة ٢٢٥١ في ٢ اغسطس ١٩١٤ .

(٣) الجريدة ٢٢٥٤ في ٥ اغسطس ١٩١٤ .

لطفى السيد عاد ليشكك فى امكانية الحياد ذاكرا ان مصر لا تستطيع فى الحال الحاضرة ان تقوم بمقتضيات الحياد الا اذا كانت انجلترا على الحياد فتكون بذلك عونا على تنفيذه ، اما وانجلترا محاربة وهى محتلة لمصر فالحياد غير ممكن فى العمل واكد فى ٨ اغسطس ١٩١٤ ان قرار وزارة حسين رشدى الذى يجعل مصر فى حالة حرب قرار ضرورى لا مناص منه « لانه الوسيلة الوحيدة لحماية الثغور المصرية » ، وان الحكومة ليس امامها خيار فيما يتعلق بوضع البلاد تحت الأحكام العرفية اذا كانت الضرورات الحربية لم تقض به بعد ، واكد كذلك ان الامة فى غاية الاستعداد لان تعين بكل ما فى استطاعتها لتحصين البلاد وحمايتها (٤) مستعجلا بذلك قرار اعلان الاحكام العرفية الذى نشر فى ٢ نوفمبر ، ومعلنا تاييده لما تتخذه حكومة رشيدى من اجراءات ، وقد دعت الجريدة الى العمل مع الانجليز ومساعدتهم « فبان فى ذلك دفاعا عن بلادنا ، فاذا استعدينا على الانجليز بغيرهم فكأنا نقول لمن نستنجد بهم خذوا انتم بلادنا بدلا من الانجليز ، وهذا كناية عن اليأس من مستقبلنا » (٥) ، وكتب لطفى السيد المقال تلو الآخر مفتتحا الجريدة ، مؤيدا مواقف الحكومة حاثا اياها على سرعة عمل الاحتياطات التى رات انجلترا والدوائر العسكرية انها الواقية للوطن من خطر الاعتداء واكد ان « حالة الحرب » حالة فعلية لا مناص منها ، وتساءل : كيف يمكن ان تكون مصر فى حال الحياد مع وجود الاحتلال الانجليزى بعساكره ؟ ورأى ان قطع العلاقات مع المانيا والنمسا من الضرورات الحربية الموكولة الى سلطة الاحتلال وعلى ذلك فتصرف الحكومة لا غبار عليه (٦) .

وعلى ضوء هذا كله سعى لطفى السيد لاعداد مشروع معاهدة بين مصر وانجلترا عرضه على رشيدى باشا وعدلى يكن باشا واتفق على ان يسعى ثلاثتهم لدى السير ريجنالدوينجت نائب المعتمد البريطانى فى مصر لتعترف انجلترا باستقلال مصر التى تكفل مصالحها وتعاونها فى دخول الحرب

---

(٤) الجريدة ٢٢٥٦ فى ٨ اغسطس ١٩١٤ .
(٥) الجريدة ٢٢٦٠ فى ١٢ اغسطس ١٩١٤ .
(٦) الجريدة ٢٢٧٩ فى ٥ سبتمبر ١٩١٤ .

فيها ، فوعدهم وينجت ان يعرض الامر على حكومته ، بينما اخبرهم السير جرانهام مستشار الداخلية — ان المصريين سوف ينضمون لتركيا فى الحرب عند ظهور اول طربوش تركى فى القتال ، ولم تكلف السلطات الانجليزية نفسها عناء بحث المشروع ، الذى كرر اصحابه عرضه على المستر مستورز (٧) وقد علق الدكتور هيكل على هذا المشروع بانه معلق على انتصار انجلترا فى الحرب وانها لن تصدر هذا التصريح مالم تدخل تركيا الحرب فى صف المانيا ، وذكر أن الجريدة كانت تروج ، كالمقطم ، فكرة انه اذا خيرت مصر بين من يحكمها من الدول فانها ستختار انجلترا ، وذكر انه احتج على لطفى السيد بسبب ذلك قائلا : « ومتى كان لعبد ان يختار سيده » (٨) .

وعلى الرغم من ان انجلترا قد تعهدت لتركيا فى اغسطس ١٩١٤ بعدم احداث تغيير جوهرى فى نظام مصر السياسى طالما التزمت بالحياد ، الا انها عادت بعد قليل — وتركيا لم تدخل الحرب بعد — تمهد لانهاء السيادة العثمانية على مصر ووضع مصر تحت الحماية البريطانية ، وقد كشفت برقية جراى الى القائم باعمال المعتمد البريطانى فى مصر فى ٢٧ سبتمبر ١٩١٤ عن هذا المعنى (٩) ، وقد نشرت الجريدة قرار اعلان الحماية ، وهللت له باعتباره « انقلابا عظيما » اخرج مصر من حالة دولية استثنائية الى حالة جلية ورات أن فى ذلك دليل على ان بريطانيا تحقق آمال الامة المصرية « فنحن نستقبل الحماية اليوم والامل ملء الصدور فى مستقبل زاهر » (١٠) واسرفت الجريدة فى تحليل معنى الحماية ، والتفاؤل بها واعتبرت ان من اسباب هذا التفاؤل أن بريطانيا اختارت شكل الحماية مع انها قادرة على فعل كل ما تريده (١١) ، كما ظلت الجريدة على تاييدها لمواقف وزارة رشدى من الاحداث مشيدة بوطنيتها « فقد كان امامها ان تترك السفينة تتقاذفها الامواج فتغرق معها امل المصريين وتضطر الحكومة الانجليزية الى تسليم مقاليد الامور الى غير

(٧) أحمد لطفى السيد : قصة حياتى ، ص ١٦٤ — ١٦٥ .
(٨) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة ، ج ١ ، ص ٦٦ — ٦٧ .
(٩) مؤنبة الاهرام : ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ، ص ٤٦ — ٤٧ ، نص البرقية .
(١٠) الجريدة ٢٣٦٥ فى ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .
(١١) الجريدة ٢٣٧٢ فى ٢٨ ديسمبر ١٩١٤ .

المصريين ، لا ان يبقى الوزراء فى مناصبهم ويثابروا على مفاوضة بريطانيا العظمى التى راوا فيها ميلا حسنا الى معاملة مصر طبقا لتقاليدها، وتساءلت فى استنكار : أى وزير وطنى يرى ذلك ويدع سفينة بلاده تغرق ؟ انه لو فعل لما كان وطنيا وهو ما أبته الوزارة الرشدية ببقائها فى مناصبها(١٢) .

أما مسألة خلع الخديوى عباس فقد تجاهلتها الجريدة تماما وذكرت انه يكفى ان بريطانيا قد اختارت أكبر أمراء الأسرة العلوية لسرير السلطنة المصرية (١٣) ، ذلك ان الاريكة العلوية التى هى عنوان مجد الامة تزال مصونة محترمة وصاحبها ذو مكانة سامية وحرمة عظيمة لدى الدولة الحامية (١٤) ، واستقبلت السلطان حسين كامل فى صدر صفحاتها أروع استقبال ملقبة اياه « بسلطاننا الكامل » مشيدة بموقف بريطانيا التى ارادت ان تبقى لمصر ذكرى تاريخها العلوى فلم تشأ ان يجلس على سدة محمد على باشا الا ابن اسماعيل العظيم ، وانها فعلت ذلك مراعاة لعواطف المصريين (١٥) ، كما اكد موقف الجريدة من الخديوى ان احدا من رجال حزب الأمة لم يسافر الى عاصمة السلطان ليقف فى معسكر الخديوى وهو امر رأى الخديوى انه كان فى حاجة اليه (١٦) بينما شغلت الأخبار السلطانية صفحات عديدة بالجريدة خلال الشهور الأولى لعام ١٩١٥ فنشرت جوابات التهانى والمقابلات السلطانية جنبا الى جنب مع اخبار السير هنرى مكماهون نائب جلالة ملك بريطانيا فى مصر(١٧) .

---

(١٢) الجريدة ٢٣٨٥ في ١١ يناير ١٩١٥ .
(١٣) الجريدة ٢٣٦٥ في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .
(١٤) الجريدة ٢٣٧٣ في ٢٨ ديسمبر ١٩١٤ .
(١٥) الجريدة ٢٣٦٥ في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .
(١٦) احمد شفيق : مذكراتى في نصف قرن ج ٢ ، م ٢ ، ص ٣٧٥ .
(١٧) الجريدة ٢٣٧٩ ، ٢٣٨٢ في ٤ ، ٩ يناير سنة ١٩١٥ ، وقد استقبلت مكماهون بقصيدة لحافظ ابراهيم مطلعها :

وضح لمصر الفرق ما ... بين السيادة والحماية
وازل شكوكا بالنفو ... س تعلقت منذ البداية
انتم أطباء الشعو ... ب وانبل الأقوام غاية
انى حللتم في البلا ... د لكم من الاصلاح آية

أما موقف الحزب من الغاء السيادة العثمانية على مصر فتفسره مواقف الحزب السالفة ازاء هذه السيادة ، كما يفهم ضمنا من ترحيب صحيفة الحزب باعلان الحماية البريطانية على مصر التى ألفت هذه السيادة ، وقد نشرت الجريدة قرار اعلان الحماية وزوال السيادة العثمانية بسبب دخول تركيا الحرب ، نشرته بنصه دون تعليق(١٨) ، ثم عادت لتؤكد ان هذا الانقلاب فى شكل الحكم ليس بالشيء المضاد للمصالح المصرية حيث أن مصر قد قضت حياتها فى ايهام مستمر نشأ عن اختلاف السلطات المتسلطة عليها فى الحكم الداخلى والخارجى(١٩) ، وبذا تجاهلت الجريدة مسألة زوال هذه السيادة كأن شيئا لم يكن ، وكانت قد شرعت فى تنمية فكرة القومية المصرية فنشرت العديد من المقالات بأقلام كتابها الشبان ، لتؤكد معنى الوطنية المصرية ولتضع المصلحة المصرية فوق كل اعتبار ، وعادت للتذكير بشعار « عليكم انفسكم » اصرفوا عواطفكم للأعمال التى تتعلق بخير بلدكم فهى أولى بتلك القوى الضائعة والوقت المنصرف فى الكلام بأخبار الغير(٢٠) وكتب الدكتور هيكل حول هذا المعنى معاتبا الصحف التى قامت بمناداة الناس بمساعدة تركيا باعتبارها صاحبة السيادة على مصر بشكل ابعد ما يكون عن الحياد ، وذكر « ها نحن تصلنا الأخبار بأن المانيا لا تقبل فى جيشها متطوعا وها لدينا بلاغ الوكالة الذى ينصح الناس بالابقاء على انفسهم واموالهم وبالنظر فى مصالحهم ومصالح مصر وان فى ذلك لعظة بالغة » (٢١) . وكذلك يفسر موقف حزب الأمة تجاه هذه السيادة ، موقف رجال الحزب من الحملة التركية المزمع ارسالها الى مصر ، فعندما أبدى الخديوى أسفه الشديد لخروج أركان الحزب الوطنى من مصر وحضورهم اليه فى عاصمة السلطان وذلك لأهميتهم للعمل هناك — يقصد بمصر — راى انه من الافضل استدعاء أحد أقطاب حزب الأمة للاتحاد مع رجال الحزب الوطنى لعمل برنامج للسير على

---

(١٨) الجريدة ٢٣٦٥ في ١٩ ديسمبر ١٩١٤ .
(١٩) الجريدة ٢٣٧٢ في ٢٧ ديسمبر ١٩١٤ .
(٢٠) الجريدة ٢٢٩٣ في ٢١ سبتمبر ١٩١٤ .
(٢١) الجريدة ٢٣٠٢ في اول اكتوبر ١٩١٤ .

موجبه ، وقد اجابه الدكتور سيد كامل — احد رجال الحزب الوطنى — بانهم سيكسبون كثيرا لو كان معهم على شفراوى وعبد العزيز فهمى وعلوى الجزار ، فقال الخديوى : هذا صحيح ولكن عبد العزيز فهمى مريض وشفراوى باشا ربما استصغر ان يحضر مع علوى الجزار(٢٢) ، ورغم انهم لم يتوصلوا الى اتفاق بهذا الشأن الا ان ذلك يحمل معنى تجاهل حزب الأمة تماما لموقف الخديوى عباس والذين معه ، وعندما اتت اخبار الحملة التركية الى مصر كتبت الجريدة مستخفة بشأنها مؤكدة انها ستفشل ، فتحدثت عن الصعوبات التى تلقاها الجيوش الكبرة فى اجتيازها لبرية سيناء لعدم توافر المياه فيها ولصعوبة نقل المدافع الضخمة التى لابد منها لمهاجمة الاستحكامات القوية التى اقامتها الجيوش البريطانية ، وذكرت انه ليس بوسع هذه الحملة الا ان تنقل معها المدافع الرشاشة وهى لا تفيد بطبيعة الحال فى مقاومة المدافع الضخمة التى اعدها الانجليز(٢٣) .

اذا كانت الجريدة قد ابانت عن موقفها من مسألة الحماية البريطانية وبالتالى الغاء السيادة العثمانية ، فان زعامات الحزب كان عليهم فى ظل الأوضاع الجديدة ان يدعموا موقفهم من السلطان حسين كامل ، وهو ما حدث بالفعل ، فقد عقدوا مع السلطان أوثق الصلات ، بل ان منهم من كان صديقا قديما له كالهلباوى الذى ذكر أن السلطان استشاره فى قبول السلطنة فاستحسن له قبول المنصب(٢٤) ، كما اشيع أن لطفى السيد قد عين رئيسا للاقلام العربية فى الديوان السلطانى وان كذبت الجريدة هذا الأمر(٢٥) بينما ذكر سعد زغلول أن لطفى قابل السلطان الذى فاتحه فى انشاء جريدة اسلامية فوافقه لطفى على الفكرة ، ويبدو أن لطفى كان يبغى عنده وظيفة فى الادارة او القضاء ، فقد طلب الى ثروت ان يروج لمسألة ترشيحه فى وظيفة بمحكمة الاستئناف ، وعندما طرح ذلك فعلا اثناء عشاء على المائدة السلطانية

---

(٢٢) احمد شفيق ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .
(٢٣) الجريدة ٢٣٩٢ فى ١٩ يناير ١٩١٥ .
(٢٤) مذكرات الهلباوى ، ص ١٠٣ .
(٢٥) الجريدة ٢٣٧٠ فى ٢٤ ديسمبر ١٩١٤ .

في ابريل ١٩١٥ طلب السلطان التمهل « لعلى اعينه في وظيفة عندي » (٢٦) وان كان لطفي قد عين رئيسا لنيابة بني سويف تمهيدا لترشيحه قاضيا بالاستئناف بناء على رغبة السلطان(٢٧) وقد استقطب السلطان نفرا آخر منهم ابراهيم رمزي — مدير الجريدة آنئذ — فعينه رئيسا لقلم الترجمة بالديوان السلطاني(٢٨) كما عين احمد عفيفي باشا ناظرا للخاصة السلطانية(٢٩) ، وكذلك دعي حسن عبد الرازق ليعمل وكيلا للديوان العالي السلطاني(٣٠) وكان السلطان صاحب الفضل في تعيين الشيخ مصطفى عبد الرازق موظفا في مجلس الأزهر الاعلى وقد اراد تعيينه سكرتيرا للمجلس لولا رفض الأزهريين لذلك نظرا لقيام مصطفى الظاهر بين جماعة السيفور(٣١) هذا في الوقت الذي انعم فيه السلطان على العديد من رجالات الحزب بالرتب والنياشين ، فانعم على مصطفى خليل وحمد الباسل والدمرداش برتبة الميرميران واضاف للدمرداش لقب صاحب الفضيلة والارشاد(٣٢) كما كان لعبد العزيز فهمي صلة طيبة بالسلطان حتى انه عندما قبل الدفاع عن فلبيديتس وعلم ان السلطان قد استاء من ذلك ، اعتذر عن الاستمرار في القضية(٣٣) . لكننا نتساءل هل كانت حركة رجال الحزب على المسرح السياسي الجديد باعتبارهم يمثلون حزب الأمة ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تقتضينا العود الى الخلف قليلا ..

* * *

(٢٦) مذكرات سعد زغلول ، ك ٢٥ ، ص ١٣٤٤ — ١٣٤٦ .

(٢٧) لطفي السيد : قصة حياتي ، ص ١٦٧ .

(٢٨) الجريدة ٢٣٦٦ في ٢٠ ديسمبر ١٩١٤ ، وزاخورا : مرآة العصر ، مجلد ١ ، ص ١٨٣ .

(٢٩) الجريدة ٢٣٧٦ في ٣١ ديسمبر ١٩١٤ .

(٣٠) السياسة عدد ٢٠ في ٢١ نوفمبر ١٩٢٢ ، علي عبد الرازق : آثار مصطفى ، ص ٥٧ .

(٣١) علي عبد الرازق : المصدر السابق ، ص ٥٧ .

(٣٢) زاخورا : المصدر السابق ، ص ٢٨٠ ، ٣٣٤ ، والاهرام ١٦٢٢٧ في ١٦ فبراير ١٩٢٠ .

(٣٣) عبد العزيز فهمي : هذه حياتي ، ص ٦٣ .

لعلنا لاحظنا منذ بداية هذا الفصل ان الحديث لم يكن عن حزب الأمة — كحزب — بقدر ما كان عن جريدة تضمحل ، ونفر من الشباب يحاول أن يبعث فيها الحياة دون جدوى ، وزعامات — أو كانت — تتعلق بعرش السلطان زلفى لديه أو طمعا فى وظيفة ، ويزيد الصورة وضوحا أن افتتاحيات الجريدة خلت من أقلام محرريها المشهورين ، واقتصرت على ترجمة أو تلخيص مقالات التيمس وأخبارها خلال عام ١٩١٣ ، تلى ذلك حديث للجريدة عن خفوت نغمة الأحزاب نتيجة فتور عام فى الحركة السياسية فى العامين السابقين لعام ١٩١٣ « حتى ان بعض الآخذين بالظواهر سموه موتا للأحزاب السياسية وابادة للفكرة فى شئون البلاد وذلك بسبب القوانين الاستثنائية التى صدرت ومنها قانون الاتفاق الجنائى وتنفيذه من قبل البوليس السرى ، حيث أخافت اجراءاته مريدى الأحزاب السياسية وزينت لهم التبرم بشيوخها حتى كثر التبرؤ من الأحزاب » (٣٤) وقد يزيد الأمر جلاء نشر الجريدة لاعلان عن وجود مسكنين بمبناها صالحين للايجار(٣٥) مما يدل على استغنائها عن بعض محرريها ، وتقليص نشاطها على الأقل أو انها استعدت لما يمكن أن يصيبها من اجراءات الرقابة، ان لم يكن نتيجة انصراف بعض الكتاب عنها بعد فرض هذه الرقابة خاصة وقد حذفت الرقابة بعضا من افتتاحيتها للمرة الأولى فى ٣ نوفمبر ١٩١٤ ، تلى ذلك حذفها لافتتاحية كاملة بعد خمسة أيام ، ثم انذارها من السلطة العسكرية ، وتوقيع الجزاء عليها بسبب استبقائها لعنوان المقال وتوقيع كاتبه ، بتعطيلها عن الصدور ليوم واحد(٣٦) وذلك أمر لم يحدث قط للجريدة منذ صدورها ، وان كانت الجريدة فيما بعد قد تركت المساحة المحذوفة بيضاء دونما عنوان أو توقيع(٣٧) .

---

(٣٤) لطفى السيد : المنتجات ، ثان ، ص ١١٣ — ١١٤ (عن الجريدة ١٩٨٩ في ٢٥ شعبتمبر ١٩١٣) .

(٣٥) الجريدة ٢٣١٧ في ٢٠ اكتوبر ١٩١٤ (اعلان للطبيب والمحامى) .

(٣٦) الجريدة ٢٣٢٥ في ١٢ نوفمبر ١٩١٤ (انذار من الجنرال مكسويل قائد جيش جلالة ملك بريطانيا العظمى بالقطر المصرى) .

(٣٧) الجريدة ٢٣٢٦ في ١٥ نوفمبر ١٩١٤ .

وفى ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ صدرت الجريدة بدون اسم مديرها احمد لطفى السيد الذى كف عن الكتابة بها منذ شهر سبتمبر(٣٨) وقد فسرت الجريدة ذلك بأنه استقال لاعتلال صحته ، ونصح اطبائه له باعتزال الأعمال العقلية(٣٩) واذا ذكرنا ان لطفى كان رئيس التحرير ، والمدير المسئول عن سياسة الجريدة منذ نشأتها والكاتب والموحى او المستكتب لمعظم افتتاحيتها، والموجه الأساسى لكتابها الشباب لادركنا ما يمكن أن يصيبها من جراء تركه لها ، وكان أول ما اصابها بالفعل هجرة أقلام الهلباوى وحسن صبرى ومحمود أبو النصر وعزيز خانكى لها وعللت الجريدة ذلك بأن مرض لطفى قد أثر فى هذه الأقلام فاحتجبت(٤٠) وقد روى العقاد انه عرف من محرريها من تركوها لأنها اضطرت الى القصد فى وظائف التحرير ، حتى كانت تقنع من المحرر بنهر فى اليوم ولا تسأله اذا ونى عن الكتابة عدة ايام(٤١) ، وكان اعتمادها الأساسى فى الصدور على بقية من رصيد الاحبار والاوراق تكفيها لعشرة شهور آتية ثم ان من بقوا فى تحريرها قد قبلوا العمل بنصف الأجر(٤٢) ، ثم كان أن احتجبت الجريدة عن الصدور تماما فى ٣٠ يونيو ١٩١٥ بعد ٢٥٣٤ عددا ثم بيعت مطبعتها الى صاحب الاهرام(٤٣) ، وكان هذا آخر عهدنا بجريدة حزب الأمة التى انصرف عنها محرروها واحدا اثر آخر على أثر تشديد الرقابة ، فى الوقت الذى كف الأعيان أيديهم عنها فتركت نهبا للأزمات المالية ، ولم تكن صحيفة شعبية بحيث تستطيع أن تغطى شيئا من تكاليفها ، والواقع انه تكاثفت عدة عوامل اثرت فى تكوين الحزب ، وبالتالى فى بقائه كحزب سياسى تنطق بلسانه صحيفة « الجريدة » ..

---

(٣٨) الجريدة ٢٣٤٢ فى ٢٢ نوفمبر ١٩١٤ .

(٣٩) الجريدة ٢٣٦١ فى ١٤ ديسمبر ١٩١٤ .

(٤٠) الجريدة ٢٤٣٣ فى ١٠ مارس ١٩١٥ .

(٤١) عباس العقاد : حياة قلم ، ص ١١٣ ويؤكد ذلك طلب الجريدة من مراسليها ، مراعاة الاختصار فيما يكتبون (عدد ٢٣٩٢ فى ١٩ يناير ١٩١٥) .

(٤٢) تقرير ادارة المطبوعات عن ملاحق رسالة النجار .

Note from Confidential report, 24 Sep., 1914.

(٤٣) الاخبار عدد ١١١ فى ١٩ اغسطس ١٩١٥ وقد بيعت بمزاد علنى بمبلغ أربى على ألف جنيه واشتراها جبرائيل بك تقلا .

واهم هذه العوامل اختلال تركيب الحـزب نتيجة انصراف كثير من الاعيان عنه اما لاسباب تتصـل بمدى ثقافتهم ودرجة وعيهم ، او لاسباب ترتبط بالعلاقات السياسية مع مركز السلطة ، او لموت العديد من رجالاته(٤٤) وانصراف الاعيان عن الحزب قديم منذ اجتماع تاسيسه ، حين ذكر فندلى ان بعض الشركاء بدأو ينسحبون من الاشتراك فى الجريدة بعد تعرفهم على مبادئها لان ذلك سـيعرضهم لعـداء الخديوى ، واصـحاب الجامعـة الاسـلامية(٤٥) ، كما ان فريقا آخر قـد انسحب تحت تهديد الخـديوى واغراءاته لاعضاء الحزب فى فترة الوفاق ، وان ظل من الاعيان فى الحزب من تصـدوا لوقف انهيار الجـريدة ودعموها بالمال مما فوت الفرصة على اعدائها(٤٦) ثم كان خروج جماعة من اعيان الصعيد وعلى راسهم اندراوس بشارة ومن اعيان الوجه البحـرى يترأسهم مصطفى خليل ، الذين رفعوا دعوى مطالبين بتصفية الجريدة التى كادت أن تنهار لولا أن تصدى محمود سليمان وعلى شعراوى ، وغيرهم لذلك واودعوا خزينة المحكمة ما اكتتب به اصحاب الدعوى(٤٧) وبالرغم من استمرار صدور الجريدة الا ان هـذا الخروج فى حد ذاته على الحزب وجريدته قـد اثر كثيرا على حجم الحزب وثقله المادى ، ثم جاءت الحرب الطرابلسية والتى وقف منها لطفى السيد وخلفه شباب الجريدة موقفا اغاظ الكثير من الاعيان الذين اكتتبوا لمساعدة الدولة العلية واعلنوا انسحابهم من الاشتراك فى الجريدة وتبرؤهم من خطة الحزب(٤٨) ، وكانت هذه المسألة بمثابة القارعة بالنسبة لعلاقة الأعيـان

---

(٤٤) على سبيل المثال توفي حسن عبد الرازق (الكبير) في ديسمبر ١٩٠٧ ومحمود عبدالغفار (الجريدة ٢٦ فبراير ١٩١٠) قطب قرشى (الجريدة ١٦ يوليو ١٩١١) .

(٤٥) FO. 407-176, No. 182, 5 Aug. 1906, p. 201

(٤٦) الجريدة ٢٦٠ في ١٨ يناير ١٩٠٨ وحتى يوليو عام ١٩٠٨ كانت قد استنفدت الجريدة ١٦ الفا من ٢٠ الف جنيه مجموع الاكتتاب اى في بحر عام واحد كما أن مشتركيها لايزيد عددهم عن الف وخمسمائة وهو اقل عدد تملكه صحيفة يومية فحظها من اموال المشتركين ضئيل وقد قال الدمرداش للطفى « ان مال الجريدة يا سى لطفى من اموال الناس وليس من مال ابيك فكان يجب أن تلزم جانب الاقتصاد » أنظر الاحرار ١٧ في ٤ يوليو ١٩٠٨ .

(٤٧) مذكرات الهلباوى ، ص ٨٤ (وكان المبلغ الذى اكتتب به اصحاب الدعوى ثمانية آلاف جنيه تم جمعه في جلسة الحزب)

(٤٨) العلم ٤٤٣ في ٢٠ اكتوبر ١٩١١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ في ٢٠ ، ٢١ اكتوبر ، ٤٤٧ في ٢٤ اكتوبر ١٩١١ (اسماء المستقيلين من الحزب) .

بالجريدة فيقدت معظمهم ، وفقد الحزب اغلب انصـــاره ومؤسسيه نتيجة لذلك ولم يتقدم من بقى منهم فى الحزب باعانة صحيفته ماليا بسبب عـــدم ارتياحهم لمحرريها واتجاهاتها التى خضعت لاتجاهات لطفى السيد الفلسفية وآرائه السياسية وكـــذا ادارته لها ، وحين دعى لعقـــد اجتماع لمناقشة وضع الجريدة من حيث توقفها او استمرارها لم يحضر سوى عضوين اثنين ومن ثم لم ينعقد(٤٩) . والواقع ان الأعيان الى جانب العامل السابق قـــد اندفعوا فى الاكتتاب فى الجريدة التى ترعاها سلطات الاحتلال فى وقت اخذت فيه الأزمة المالية عام ١٩٠٧ بخناق البلاد ، وكانوا يأملون فى انتهائها ولكنها استمرت خلال عامى ١٩٠٨ ، ١٩٠٩ . ورغم تحسنها نسبيا خـــلال عـــام ١٩١٠ الا انها فى بداية عام ١٩١١ بدت تذرها من جديد(٥٠) الأمر الذى قـــد يعرض الاعيان لضياع أموالهم وسخط الراى العام وعداء الخديوى عداء بينا فى الوقت الذى لم تبد سلطات الاحتلال ميلا من نوع ما اليهم مما زاد من اقتناع من تبقى منهم بعدم جدوى الاستمرار فى الانتماء للحزب .

ويتصل بتفتت تركيب الحزب انصراف الموظفين عنه بسبب ما اتاحته سياسة الوفاق للخديوى من حرية استخدمها فى ضرب اعدائه فاســـتطاع ابعادهم عن الحـــزب كلية والتهديد بالنفى والتشريد والعـــزل للمديد من الموظفين المشتركين فى جمعية الحزب العمومية . كما استطاع اغراء بعضهم بالرتب والنياشين حتى اعلنوا تبرؤهم من الحزب وخطته ، مما افقد الحزب الكثير من الكفاءات العلمية والقانونية الكفيلة باستمرار قوته .

ومن عوامل تدهور الحزب ايضا اتساع الهوة بين مثقفيه واعيانه وكان المأمول أن تضيق اكثر فأكثر ليتكيف الحزب مع نفسه ، ولكن حدث العكس ذلك أن الأفكار التى دعا اليها لطفى السيد وانصـــاره ، لم تكن مما يرضى الأعيان أو حتى الراى العام ان لم تكن تصطدم مع عواطف هؤلاء وأولئك ،

---

(٤٩) تقرير ادارة المطبوعات عن الجريدة بملاحق النجار (الجريدة تاريخ ونص)
Note from Confidential report.

(٥٠) وقد قال الدمرداش للطفى السيد لو أننى منك اقدمت استقالتى فى الحال .
Egypt, No. I, 1911, p. 6.

وقـد رأينا أثر ذلك من خلال مقارنة دور الأعيان داخل المجالس النيابية بما تدعو اليه الجريدة كما اتضح كذلك فى موقف لطفى ابان الحرب الطرابلسية (١٩١١) ، حيث كان يدرى موقف الأعيان سلفا مما يدل على انه كان واثقا أن باسـتطاعته تجاهلهم أو اقناعهم اذا لزم الأمر ، وان كان قـد أخطـأ التقدير ، فسرعان ما أجبروه على ترك الجريدة لفترة سكن خلالها الى قريته، وبالرغم من أن قانون الجريدة يقضى بمحاسبة مديرها عن مدى تعبيره عن أفكار مؤسسيها ويشير بتغييره اذا حاد عن مهمته ، ورغم تأكيـد الجريدة على أن لطفى السيد لا يجوز له ان يتعدى قانونها(٥١) بل وادعاء محاسبة مؤسسيها له أحيانا(٥٢) ، الا انه من الصعب الحكم على مدى التزامه بذلك أو التحكم فيه ، عندما تخوض الجريدة فى مسائل ذات طبيعة خاصة وليس ثمة ضامن للاستمرار فى الوفاء بهذا الالتزام اذا كان المدير ذا مكانة سياسية معينة وليس مجرد صحافى محترف ، وكذلك اذا كانت أفكار مؤسسى الجريدة ترتبط بالموقف السياسى المحكوم بعلاقات متغيرة دائما ازاء مركز السلطة ولا تنبنى على مبادىء ثابتة ودعائم قوية مجردة .

ورغم عودة لطفى الى الجـريدة الا أن عوامل الخلاف لم تكن قـد زالت بعـد مما حدا به أن يترك ادارتها فى يناير عام ١٩١٤ ويكتفى برئاسة تحريرها على ان يصبح حرا فى استعادة عمله كمحام وقـد أعلن عن عزمه عن الترافع أمام المحاكم الأهلية ويبدو أن ذلك كان نتيجة مكائد دبرت ضده فى مجلس الادارة لعب طلعت حرب ــ عضـو المجلس ومراجع حسابات الجريدة ــ دورا كبيرا فيها . وكان بين طلعت ولطفى اختلاف فى الأمزجة ، كما كان طلعت ومؤيدوه ينظرون الى أفكار لطفى السيد التحررية باعتبارها تحللا وانفلاتا(٥٣) ، وحين قـدم لطفى السيد استقالته من ادارة التحـرير

---

(٥١) نص القانون بالفصل الاول ، والجريدة ١٨١ فى ١٩ أكتوبر ١٩٠٧ .

(٥٢) الاحرار عدد ١ فى ٣٠ مايو ١٩٠٨ وقد ذكرت « لما رأى محمود باشا سليمان سخط العقلاء على خطبة لطفى استدعاه وقال له ان خطبتك ليست محكمة واننى قلت لك تلقى خطبة بين هذا وذاك وأنت تطرفت كثيرا وكشفت النقاب عن أغراض خصوصية ... » .

(٥٣) مذكرة ادارة المطبوعات عن لطفى السيد (ملاحق رسالة النجار عن الجريدة)
Note About Ahmed L. Al-Sayyid.

دافع عن اتهامه بسوء الادارة بأنه لم يكن له دراية بالشئون المالية ، وانه يخدم أسس وأهداف الأعضاء فقط ، ثم نقل نشـــاطه من مكاتب الجريدة الى بيته فى هليوبوليس وقرر الامتناع عن نشـــاطه السياسى الذى لم يعد يلق قبولا من حزبه(٥٤) وما لبث أن تخلى عن رئاسة التحرير هى الأخرى فى نوفمبر عام ١٩١٤ وان لم يتخل عن العمل السياسى فيما بعد .

يضاف الى العوامل السابقة ركود الحياة السياسية على اثر تصريحات كتشنر المتكررة خـــلال عام ١٩١٢ ووصـــفه للمشتغلين بالأحـــزاب بانهم مشاغبون كما انه قد أبدى سروره من استهجان الأمة لفكرة تأليف ما يقوم على انقاض ما اختفى منها ونصحه بعدم انتخاب رجال الأحزاب(٥٥) ، كما باشرت وزارة محمد سعيد (١٩١٠/٢/٢١ — ١٩١٤/٤/٥) اخماد انفاس الأحزاب وتضييق السبل فى وجوهها(٥٦) وهناك ممن ينتمون للحزب من اختيروا لمنصب الوزارة كمحمد محب باشا وعبد الخالق ثروت باشا(٥٧) اللذين اختيرا لذلك بصفتهما الشخصية . فصار الأول وزيرا للأوقاف والآخر وزيرا للحقانية فى وزارة حسين رشدى (١٩١٤/٤/٥ — ١٩١٤/١٢/١٩) الأمر الذى أفقد الحزب عطف من بقى من مؤسسيه . وأخيرا جاءت اجراءات الحرب العالمية وتشديد الرقابة واعلان الأحكام العرفية لتضع حدا لكل نشاط حزبى ولتعطى من بقى على ولائه للحزب تبريرا معقولا لينصرف عنه أو ليمارس نشاطه فى ثوب جديد داخل تجمع ولدته الأحداث .

* * *

---

(٥٤) تقرير ادارة المطبوعات عن الجريدة (ملاحق رسالة النجار عن الجريدة) :
Note from Confidential report.

وقد أجاب لطفى السيد عن سؤال بشأن اغـلاق الجريدة فقال لقد قبلت التحرير فيها لا نشر المبادىء التى آمنت بها فلما انتهيت من نشرها أغلقت الجريدة وانصرفت عن الصحافـة لأننى كنت أشتغل بها صاحب رأى (طاهر الطناحى ، مقال بكتاب تذكارى عن أحمـد لطفى السيد ، ص ١٣٣) والمعروف أن لطفى السيد ليس هو الذى أغلق الجريدة كما اتضح بالمتن .

(٥٥) أنظر مذكرات سعد زغلول ، ك ٢٠ ، ص ١٠٠٧ ، ك ٢٣ ، ص ١١١٠ .

(٥٦) المصدر السابق ، ك ٣ ، ص ١٥١ .

(٥٧) فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

على الرغم من ضعف حزب الأمة وتحلله كبناء سياسى الا أن مبادئه واتجاهاته بما أصابها من مدوجزر ظلت تمارس فى شكل تجمعات معينة أو من خلال نشاطات فردية ، فشباب الجريدة يتقدمهم مصطفى عبد الرازق، أخذوا على عاتقهم الاستمرار فى الترويج لمذاهب الاصلاح ، وقد روى الدكتور هيكل كيف انه واصدقاءه الكتاب الشبان لم يكونوا قادرين على الكتابة فى السياسة المصرية ذلك أن الرقابة على الصحف كانت تحول دون ذلك ، وحين تعطلت الجريدة لم يستطع واصدقاءه ان يحطموا اقلامهم ومن ثم اتفقوا : الشيخ مصطفى عبد الرازق وطه حسين ومنصور فهمى وعبد الحميد حمدى وهو ، على ان يشتركوا فى تحرير جريدة السفور فصدرت السفور أسبوعية ادبية اجتماعية لا شأن لها بالسياسة ، ولم تلبث ان أصبحت مدرسة للناشئين من الكتاب والكاتبات(٥٨) ومن الأسماء التى لمعت على صفحاتها الى جانب من سبقوا ، أحمد حسن الزيات ، ومحمود تيمور ، وزكريا ابراهيم ، وزكى مبارك وأحمد رامى وغيرهم(٥٩) . وقد انحصرت اهتمامات السفور فى قضايا الاصلاح الاجتماعى ومعالجة الأفكار الاوربية الحديثة فى هذا الصدد دون التعرض لمسائل السياسة من قريب أو بعيد(٦٠) .

أما رئيس حزب الأمة ، محمود باشا سليمان فقد أشيع أن الانجليز قد لوحوا له بسلطنة مصر بعد خلع الخديوى عباس حلمى اثر اشتعال الحرب العظمى وان الفكرة لم تجد لديه ترحيبا ، بل لقد قيل انه سارع حين هدد الانجليز بتنصيب اغاخان سلطانا على مصر الى اقناع الأمير حسين كامل بقبول السلطنة وكان قد أحجم عن قبول التنفير(٦١) وربما لا يعتبر هذا صحيحا اذا عرفنا أنه قد شارف الثمانين وحق له أن يستريح من عناء

---

(٥٨) هيكل : مذكرات في السياسة ، ج ١ ، ص ٧٥ .

(٥٩) على عبد الرازق : من آثار مصطفى ، ص ٥٥ — ٥٦ .

(٦٠) السفور عدد ٧٧ في ٢٤ نوفمبر ١٩١٦ مقالات لزكريا ابراهيم واحمد رامى وطه حسين ، ٢ سبتمبر لهيكل ، ١٧ نوفمبر لزكى مبارك ، ٢٢ ديسمبر ١٩١٦ لمحمود تيمور ، وقد قسمت الصحيفة الى أبواب تكاد تكون ثابتة للأدب والاجتماع والنقد والقصص والتعريب .

(٦١) النجار: أحمد لطفى السيد ، ص ١٢ ، وقد أيد العقاد هذه الرواية في كتاب محمد فريد الكيلانى : السلطان حسين كامل ، ص ٥٨ .

العمل ، حتى لقد خرج من امواله لأبنائه عام ١٩١٦ واعتزم عيش الزهادة والنسك ، بيد انه عاد مرة اخرى الى الحياة العامة رئيسا للجنة الوفد المركزية وما اعتزل السياسة نهائيا الا بعد أن انقسمت البلاد على بعضها(٦٢) .

اما لطفى السيد فحين عرض مشروع معاهدته على سلطات الاحتلال التى لم تكترث له ، لم ير بدا من اعتزال السياسة والتقرب من السلطان والانطواء فى سلك الوظائف ، ولم يكن لطفى هو الوحيد الذى فكر فى امور البلاد بعد الحرب ، بل كان التفكير عاما وكأنما اوحى للأمة بجميع طبقاتها أن حان وقت العمل لتقرير مصير البلاد ، فكانت جماعات كثيرة من طبقات الأمة المختلفة تفكر فيما يجب ان تعمله(٦٣) ، وليست الجماعة التى تألف منها « الوفد » الا احدى هذه الجماعات الفت بين قلوبها روابط قديمة وزمالة فى العمل وتقارب فى التفكير ناشىء عن تقارب البيئة الاجتماعية(٦٤) . بل لقد شغلت هذه المسألة وان بدرجات متفاوتة وبمفاهيم متباينة ؛ السلطان فؤاد نفسه وحسين رشدى وعدلى يكن ، حتى بات متوقعا أن تحدث حركة عامة يشترك فيها الكثيرون ، وقد اوشكت الحرب ان تنتهى واخذت الصحافة تردد اخبار الصلح منذ اوائل اكتوبر عام ١٩١٨(٦٥) .

وقد روى لطفى السيد كيف اجتمع بأصدقائه سعد زغلول وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوى ومحمد محمود وفكروا فى الاستفادة بالمبادىء التى اعلنها الرئيس الامريكى ويلسون ، وكيف انهم فى نوفمبر عام ١٩١٨ بدأوا فى تأليف الوفد (٦٦) وقد ايده عبد العزيز فهمى فى هذه الرواية — مع اختلاف فى الشكل — وذكر أن اجتماعاتهم توالت فى بيت سعد واتفقوا على الأشخاص

---

(٦٢) هيكل : تراجم ، ص ١٨٤ — ١٨٦ ، ومذكرات ، ج ١ ، ص ٩٩ .
(٦٣) عبد الخالق لاشين : سعد زغلول ، ج ٢ ، ص ١٢٩ .
(٦٤) مذكرات عبد الرحمن فهمى ، المحفظة (١) ، الملف الاول ، ص ٢ غير منشورة ومودعة بدار الوثائق القومية .
(٦٥) لاشين ، المرجع السابق ، نفس المكان .
(٦٦) لطفى السيد : قصة حياتى ، ص ١١٧ .

الذين يتألف منهم الوفد (٦٧) ، وأضاف ابراهيم الهلباوى الى ذلك كله انه انضم الى هذه الجماعة مشترطا الا يبرح مصر لان اشغاله فى مكتبه ومزارعه لا تسمح بذلك وانه نتيجة لذلك ظهرت فكرة ان يكون الوفد ذا شعبتين ، شعبة تسافر الى اوربا واخرى تبقى باسم لجنة الوفد المركزية تكون بمثابة الصلة بين الوفد وبين الراى العام (٦٨) بينما نسب الدكتور هيكل فكرة تاليف الوفد الى حزب الأمة الذى انتهز جماعة منه فرصة الهدنة والصلح ففكروا فى تكوين هذه الهيئة وانضوا بفكرتهم الى حكومة رشدى التى وجدوا منها ارتياحا لها ثم فاتحوا سعد زغلول باعتباره وكيل الجمعية التشريعية المنتخب وفاتحوا أيضا اثنان من رجال الحزب الوطنى (المكباتى وعلوبة) فى هذا الأمر وعلى ذلك تالف الوفد المصرى (٦٩) . وفى ١٣ نوفمبر اجتمع فى منزل سعد كل من على شعراوى ومحمد محمود وعبد العزيز فهمى ولطفى السيد واتفقوا على مقابلة ممثل انجلترا السير وينجت ، وقر قرارهم على ان يذهب الى دار الحماية سعد وشعراوى وعبد العزيز وان يبقى محمد محمود ولطفى السيد ومحمد على علوبة فى دار سعد فى انتظار رجوعهم (٧٠) ، وبذلك تكونت نواة الوفد الأولى من رجال حزب الامة يترأسهم سعد زغلول الذى

---

(٦٧) عبد العزيز فهمى ، هذه حياتى ، ص ٧٣ — ٧٤ .

(٦٨) مذكرات الهلباوى ص ١٢١ وقد روى ان أول اجتماع عقده الوفد للاحتجاج على الحماية عقد في دار حمد الباسل وخطب فيه سعد ، وبعد مدة من تاريخ الاجتماع فكرنا في عمل اجتماع آخر تحدد له ٢٤ يناير ١٩١٨ ولما عرفت قيادة الجيش الانجليزى استدعت بعض اعضاء الوفد وفي مقدمتهم رئيسهم وقال لهم كلابتون انهم يعتبروا مسئولين شخصيا عما مساه يقع بعد ذلك نعزم الرئيس على ان يبلغ المدعوين بالعدول ولم يكن وكيل الوفد وأمين صندوقه شعراوى باشا من رأى الرئيس وبقى سعد مصرا على رايه وقال غاضبا اخشى انكم بهذا الالحاح تريدون أن تتفرجوا على جسى مشنوقا دون أن يجر ذلك الى فائدة للقضية المصرية واغرورقت عيناه بالدموع (مذكرات الهلباوى ص ١٢٤) والصحيح أن الاجتماع قد تحدد في فبراير ١٩١٩ لان الهلباوى روى انهم فكروا فيه بعد أن تحدث عن خطبة سعد في جمعية الاقتصاد والتشريع في ٧ فبراير ١٩١٩ (الاهرام ٥٠ عاما على ثورة ١٩١٩ ص ١٠٠) .

(٦٩) هيكل ، تراجم ، ص ٢٠٠ .

(٧٠) مذكرات محمد على علوبة ، ص ٤٩ ، غير منشورة ومودعة بدار الوثائق القومية وقد اكد عبد الرحمن فهمى في مذكراته ص ٢ هذا المعنى وسر اختيار الثلاثة بان سعدا وكيل الجمعية وعبد العزيز وشعراوى عضوان بها وقد ذكر المقاد انه لولا ان لطفى لم ينتخب عضوا في الجمعية التشريعية لكان ثالث الثلاثة ذلك انه كان ثالث — سعد وعبد العزيز — في وضع صيغة توكيل الوفد في طلب الاستقلال التام (رجال عرفتهم ص ٢٢٢) .

كان متعاطفا مع اتجاههم وان لم يكن عضـوا بالحزب ، وقـد قبلوا زعامته باعتباره وكيل الجمعية التشريعية المنتخب ليكسبوا وفدهم صفة النيابة عن الأمـة .

أما شباب الحزب القديم الذين اصدروا صحيفة السفور فقد استقر رأيهم على تأليف حزب باسم « الحزب الديمقراطى » كان ذلك فى اواخر عام ١٩١٨ اثناء المشـاورات الجـارية لتأليف الوفود عقب مقابلة ١٣ نوفمبر الشهيرة ، وقـد كشف محمود عزمى الستار عن فكرة تأسيس هـذا الوفد ذاكرا أن الرغبة فى عضوية الوفـد هى التى ولدت فكرة انشـاء هـذا الحزب لدى جماعة السفور ، حيث وجدوا أن أبواب الوفـد مغلقة أمامهم وأن توسعهم كحزب أن يمثلوا فيه . فحين قرروا ان يطلبوا الى سعد زغلول أن يضم اثنين من أعضـاء جماعة السفور الى هيئة الوفـد تجاهلهم سعد وسألهم عمن هم فأخبروه بأنهم جماعة تنشر مبادىء الفكر الحر وتدل الناس على الحقائق سافرة فأجابهم سعد بأنهم ليسـو حزبا سياسيا وأنهم لوكانوا كذلك لكان لهم شأن آخر (٧١) .

وقد ألفوا حزبهم لذلك وجعـلوا رئاسته دورية بين الدكتور هيكل ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى ومحمود عزمى على أن يتولى سكرتاريته عزيز ميرهم وأمانة صندوقه سامى كمال ، واتفق على أن يكون للحزب مجلس ادارة مكون من تسعة أعضاء ، وقـد بدأ الحزب يعمـل ولم تكن جمعيته السياسية قد زاد عددها على الخمسين او الستين وكلهم من الشبان المثقفين القادرين (٧٢) أمـا مبادىء الحزب فهى تكمن فى السعى الى تحقيق الحرية والعدل وحق الأمم فى تقرير مصيرها ، ولا يرى الحزب بأسا اذا اصبحت مصر ذات سيادة أن تحالف دولة قويـة منتصرة كانجلترا ، اما الجـانب الاجتماعى فقد اتفق على تحديد مجال للعمل فيه بين من يؤمنون بالدعوة الى

---

(٧١) محمود عزمى : خبايا سياسية ، ص ٤٠ — ٤١ .
(٧٢) نفس المصدر ، ص ٤٢ .

الليبرالية الاقتصادية يتراسهم هيكل ومن يؤمنون بالاشتراكية وعلى رأسهم عزيز ميرهم ، مما يرضى كل فريق ولا يعارضه الفريق الآخر (٧٣) .

وسرعان ما شرع الحزب فى تنفيذ الهدف الذى انشىء من اجله ولكن سعدا ابى تمثيلهم فى الوفد وحاول جذب مصطفى عبد الرازق وحده الى صفوف الوفد ولكن اسرته ابت ذلك « لاعتبارات عائلية » ولعدم الاطمئنان الى صدق هذه الحركة « التى استأثر بها سعد زغلول » (٧٤) . ولم نعرف لهذا الحزب نشاطا اكثر من بث الدعوة بين الشباب لمقاطعة لجنة ملنر ، كما كان من المطالبين بتولى عدلى يكن الذى الف وزارة الثقة ، هو ومن يختارهم مفاوضة الانجليز على ان يكون للوفد ولسعد زغلول الراى الأخير فى نتيجتها يدلون به الى الأمة باعتبارهم وكلاؤها(٧٥) ، وأثناء مفاوضات عدلى — كيرزن عام ١٩٢١ وازاء انقسام الأمة الى سعديين وعدليين ، انقسم الحزب الديمقراطى على نفسه انقساما كان من اثره ان حاول كل فريق ان يضم الى الحزب اعضاء جدد ينا صرونه ، وكان المثقفون الذين انضموا اليه من انصار عدلى يكن، لكن سكرتير الحزب (ميرهم) كان اشد ميلا للوفد وقد انضم له فى ذلك عدد من الأعضاء (٧٦) مما جعل التعاون بين أعضاء الحزب امرا متعذرا فلم يلبث الحزب ان اضمحل وتفرق شمله .

ومما اتاح للمعتدلين تصدر الموقف ان كان زعماء الحزب الوطنى منفيين او معتقلين ، يضاف الى ذلك ان انجلترا قد خرجت منتصرة فى الحرب وتزعمت العالم الاستعمارى ، فلم يكن من المتوقع ان يحقق المتطرفون الكثير من مطالب مصر عن طريق العنف ، فكان من دواعى الحكمة ان يتقدم الصفوف المعتدلين وبخاصة من كان منهم على صلة طيبة بالسلطة الانجليزية قبل الحرب (٧٧) . فلما تألف الوفد برئاسة سعد كان أمين صندوقه على

---

(٧٣) هيكل : مذكرات في السياسة ، ج ١ ، ص ٨٠ .
(٧٤) على عبد الرازق : من آثار مصطفى عبد الرازق ، ص ٦٢ .
(٧٥) هيكل : مذكرات في السياسة ج ١ ، ١١٨ ، ٢ .
(٧٦) هيكل : المصدر السابق ص ١٢٥ ، وعزمى : خبايا سياسية ص ٤٥ .
(٧٧) احمد عبد الرحيم مصطفى : تاريخ مصر السياسى ، ص ٩٩ ، ١٠٢ .

شعراوى وكيل حزب الأمـــة كما كان يضم بين أعضائه عبد العزيز فهمى ولطفى السيد ومحمد محمود يضاف اليهم المكباتى وعلوبة (٧٨) ولا يخفى أن الثلاثة الأول من كبار زعماء حزب الامة ، وقد انضم اليه ايضا من هؤلاء حمدا الباسـيل وسينوت حنا ، وبهذا كان الوفد الأول امتدادا طبيعيا لحزب الامة أو هو طور ثان من اطواره(٧٩) . ولما قبض على سعد ورفاقه فى ٨ مارس ١٩١٩ ترأس على شعراوى الوفد (٨٠) وقدم ورفاقه برقية احتجاج الى قائد القوات البريطانية فى مصر ، وعندما شكلت لجنة الوفـــد المركزية تراسهـــا محمود سليمان — رئيس حزب الأمة — وكان ابراهيم سعيد امينا للصندوق ووكيلا لها ويشاركه فى الوكالة محمود ابو حسين ، وهما من انتطاب حزب الأمة . كذلك كانت غالبية اعضائها من هذا الحزب وهذا يفسر لماذا كانوا يصرون على أن تكون وسائل الوفد سلمية ومشروعة ، وقد تمثلت اوجـــه نشاط هذه اللجنة فى جمع التبرعات على ذمة الوفد وارسالها اليـــه وابلاغه أخبار البلاد واذاعتها فى الأمة (٨١) .

وكان الوفـــد يحمل فى طياته تناقضات صارخة ، ففى عام ١٩١٨ حين تكون لم يكن حزبا بالمعنى المفهوم ، وانما حركة سياسية لاتقيم وزنـــا للتناقضات الطبقية بل تجسد الأمة التى جمعتها الرغبـــة فى التخلص من الانجليز ، وحين تعثرت مساعيه أمام مؤتمر الصلح ، لجـــأت انجلترا الى أسلوب « فرق تسـد » وانخفضت حدة حماسة بعض اعضاء الوفـــد ، ورجع كل الى الستعمل باسلوبه الخاص حين حـاول تيـار الاعتدال ان يفرض نفسه فى حلبة السياسة المصرية ، وخصوصا اثناء مفاوضات سعـــد — ملنر ، لكن سعدا بزعامته واتجاهه الى الأمة فوت الفرصة على المعتدلين

---

(٧٨) لاشين : سعد زغلول ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٧٩) عبد العظيم رمضان : تطور الحركة الوطنية ١٨ — ١٩٣٦ ، ص ٩٩ وذكـر ان الطور الثالث هو حزب الاحرار الدستوريين وقد انضم أخيرا مصطفى النحاس واسماعيل صدقى وحافظ عفيفى وجورج خياط وواصف غالى ليصبح الجميع ١٤ عضوا ، انظر لاشين : السابق ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٨٠) مذكرات عبد الرحمن فهمى ، محفظة (١) ، ملف (١) ، ص ١١٤ .

(٨١) رمضان ، المرجع السابق ، ص ١٤٦ ؛ ١٥٧ — ١٥٩ .

فكانت النتيجة أن تحولت الفئات التى كانت تلتف حول حزب الأمة والجريدة الى جانب عدلى يكن (٨٢) فى صراعه الشهير مع سعد زغلول ، حين خرجت على الوفد فى ابريل ١٩٢١ مجموعة مكونة من على شعراوى ومحمد محمود وحمد الباسل وعبد اللطيف المكباتى ولطفى السيد ومحمد على علوبة وجورج خياط ، وكانت استقالاتهم متضامنة ، عدا على شعراوى وخياط(٨٣) وقد التفوا حول عدلى يكن أثناء مفاوضاته مع اللورد كيرزن ، وشاركوه فى استصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، من جانب انجلترا ، الذى اعترفت فيه انجلترا باستقلال مصر بتحفظات أربع لمفاوضات مقبلة ، وعلى اثره تألفت وزارة عبد الخالق ثروت ، التى حرصت على اصدار الدستور فضمت لجنة اعداده العديد من رجالات حزب الأمة كعبد العزيز فهمى وابراهيم الهلباوى ومحمود أبو النصر وغيرهم (٨٤) ، وبذلك يمثل تصريح فبراير واعداد دستور ١٩٢٣ والعمل على اصداره الاتجاه السياسى الجديد لهذه الجماعة المنشقة على الوفد والملتفة حول عدلى يكن ، وكان العمل على اصدار الدستور وما يستتبعه من اجراء انتخابات برلمانية يقتضى من هؤلاء المعتدلين أن ينظموا صفوفهم لخوض المعركة .

ولما كانوا أصحاب الرأى والاعتدال والدبلوماسية فقد كان من الطبيعى أن يعتقدوا أنهم أبطال المرحلة التالية ، مرحلة استكمال الاستقلال عن طريق المفاوضات ، فضموا صفوفهم فى شكل حزب وجمعوا عددا من كبار المصريين ، اكثرهم من أعضاء حزب الأمة القديم أو من أبنائهم وذويهم ، بالاضافة الى لجنة الدستور وكثيرون من الحزب الديمقراطى وجمعية مصر المستقلة التى كانت قد تكونت من جماعة من الشبان يترأسهم الدكتور حافظ عفيفى ، أثناء مفاوضات عدلى — كيرزن وكانت تؤيده فى موقفه من

---

(٨٢) حول هذا المعنى أنظر عبد الرحيم مصطفى ، المرجع السابق ص ١٢٩ ، ١٤٠ .
(٨٣) عاصم الدسوقى : كبار ملاك الأراضى الزراعية ، ص ٢٢٥ — ٢٢٦ .
(٨٤) هيكل : مذكرات ، ج ١ ، ص ١٢٨ (انظر أسماء أعضاء اللجنة ، ص ١٢٢) .

هـــذه المفاوضات (٨٥) وقد وصف غربال حزب الأحرار الدستوريين بأنـــه نسخة من حزب قديم وصف بأنه يجمع بين جاه العلم والعقـــل وجاه العصبية والغنى (٨٦) ، وعموما أعلن حزب الأحرار عن نفسه فى أواخر أكتوبر ١٩٢٢، ليبدأ فترة جديدة فى تاريخ مصر السياسى .

* * *

(٨٥) رمضان ، المرجع السابق ، ص ٣٧٨ — ٣٧٩ ؛ هيكل ، مذكرات ، ج ١ ص ١٤٤ الذى أضاف أن لطفى السيد لم يكن من أعضاء حزب الأحرار لأنه قد عاد الى عمله الوظيفى مديرا لدار الكتب وكان وثيق الصلة بعدلى يكن وبمن يؤلفون الحزب كما أنه هو الذى حرر خطاب الافتتاح الذى ألقاه عدلى باشا ص ١٤٥ .

(٨٦) شفيق غربال : الدكتور محمد حســين هيكل ، مقـــال بكتاب تذكـــارى عنـــه ص ١٨٧ — ١٨٨ .